د. راوية عبد الحميد حسانين شافع (*)

التأثيرات الاجتماعية المتبادلة بين المسلمين والإسبان فى الأندلس

مقدمة:

عاشت الحضارة الإسلامية على أرض الأندلس ما يزيد على ثمانية قرون ، شاركت فيها سكان إسبانيا المسيحيين حياتهم منذ لحظة الفتح وحتى النهاية ، حدث خلالها تبادل حضارى بين كل الجانبين . ولهذا كان الهدف الأساسى لهذا البحث ليس محاولة تغليب جانب حضارى على جانب حضارى آخر ، وإنما محاولة استخراج أوجه التعاون الحضارى بين حضارتين أو شعبين فُرض عليهما - سواء سلمًا أم حربًا - أن يظلا جنبًا إلى جنب فيما يزيد على ثمانية قرون . وقد آثرت أن أتناول جانبًا واحدًا ، وهو الجانب الاجتماعى الذى ارتبط ارتباطًا وثيقًا بحياة الأشخاص اليومية فى المجتمع الأندلسى .

والحقيقة أن التأثيرات الاجتماعية المتبادلة فى الأندلس بين المسلمين والإسبان كانت من أبرز التأثيرات على كافة الأصعدة . وساعد كثيرًا فى انتقالها بين طوائف وجماعات المجتمع الأندلسى على اختلاف عقائده وأفراده ، تلك الحرية والتسامح الذى انتهجه ولاة وحكام الأندلس - منذ الفتح الإسلامى وحتى النهاية - تجاه تلك الطوائف من يهود ونصارى ومستعربين حيث كانوا يمارسون أنشطتهم وطقوسهم فى حرية تامة مما ساعد على امتزاج تلك الجماعات على أرض الأندلس (١) وسهل كثيرًا فى انتقال المؤثرات والعادات فى سهولة ويسر بين كافة الطوائف .

---

* مدرس التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية - كلية الآداب - جامعة حلوان .

وكان طبيعيًا أن يحدث اختلاط وتداخل بين الشعبين فى العادات الاجتماعية بصفة خاصة، حيث توحدت أساليب الحياة بينهما إلى حد كبير ، علاوة على عدم تأفف المسلمين بسبب النقل عن الحضارات الأخرى ، وذلك بما يتناسب مع شريعتهم وعاداتهم ، فكان هذا الامتزاج الواسع الذى أفرز لنا هذا المزيج الفريد بين المسلمين والإسبان فى الأندلس كما سنوضح لاحقًا فى ثنايا البحث .

وفى البداية – مع أوائل الفتح – كان طبيعيًا أن تكون الغلبة للمسلمين . أما الإسبان كأمة مغلوبة فكان طبيعيًا أن تتطلع إلى الأمة الغازية التى كانت أعلى حضارة وأرقى حياة ، وأكثر تسامحًا مما سبقها من الأمم التى عاشت على أرض شبه الجزيرة الأيبيرية (إسبانيا والبرتغال). وفى هذا الصدد ينكر جوستاف لوبون قائلاً : " لم يكد العرب يتمون فتح إسبانيا حتى بدأوا يقومون برسالتهم المعهودة فى بناء مجتمع جديد ، واستطاعوا فى أقل من قرن أن يقيموا دولة فتية ، وأن ينشئوا المدن والقرى ، ويقيموا أفخم المبانى ويوطدوا وثيق الصلات التجارية بالدول الأخرى ، ثم شرعوا يتنافسون فى تحصيل العلوم والآداب ، وفى نقل كتب اليونان والرومان إلى اللغة العربية وينشئون المدارس والجامعات التى كانت وحدها مصدر للثقافة فى أوروبا كلها " (٢).

ورغم التفوق الحضارى للمسلمين فى القرون الأولى لدولتهم فى الأندلس إلا أن المسلمين بطبيعتهم فى هذه المرحلة كانوا مقبلين على الأخذ والعطاء من الشعوب التى اختلطوا بها بصفة عامة وفى إسبانيا بصفة خاصة ، ففى إسبانيا على سبيل المثال لم يفرضوا دينهم ولكن الأوضاع الاجتماعية الظالمة فى عهد القوط – وهم حكام إسبانيا قبل الفتح الإسلامى – دفعت بأفواج كثيرة إلى الإسلام .

ومن هنا بدأت فى الأندلس منذ اللحظة الأولى عملية امتزاج جماعى واسع النطاق بين مختلف العناصر التى أصبح الشعب الأندلسى يتألف منها مما أحدث معه تبادل حضارى واسع فى كافة المجالات . برزت منها التأثيرات الاجتماعية واضحة نتيجة لروح التسامح التى تحلى بها المسلمون تجاه أصحاب الديانات الأخرى فى شبه الجزيرة .

وهكذا نتج عن هذا المزيج حضارة أندلسية مزدهرة ، وصلت إلى الفكر الأوروبى المجاور وأثرت فيه ، فقد تغلغل الفتح الإسلامى لإسبانيا فى الحياة الإسبانية وترك فيها آثاراً عميقة مازالت تتراءى لنا مظاهرها بوضوح إلى اليوم فى اللغة والمجتمع بل وبعض العادات والتقاليد، التى يستطع لم المجتمع الإسبانى رغم مرور تلك السنوات التخلص منها نهائيًا(٣) .

وسوف نرى من خلال البحث أن هذا المزيج قد أخرج لنا مجتمعًا فريدًا فى العالم الإسلامى علي عصره من حيث التداخل الاجتماعى الواضح بين كافة طوائف المجتمع الأندلسى .

اهم مجالات التبادل الحضارى الاجتماعى:

أولاً : الأعياد :

كانت الأعياد الإسلامية فى الأندلس حافلة بالنشاط ومن أهمها عيد الفطر وعيد الأضحى ، فضلاً عن الاحتفال بالمولد النبوى الشريف ، وتقام فيها الاحتفالات الدينية وغير الدينية التى يحضرها الرجال والنساء والأطفال (٤). وخلاف الأعياد الدينية الخاصة بالمسلمين هناك أعياد أخرى وطنية كان يشارك فيها أهل الأندلس مجتمعين رجالاً ونساءً مسلمين ومسيحين مثل عيد العصير ، ويكون عيد جنى محصول العنب فى جو يسوده الغناء والمرح والرقص ، حيث كانوا يرتدون فى هذا اليوم أبهى ثيابهم وأجملها (٥).

وكانت مناسبة الاحتفال بالمولد النبوى الشريف في الأندلس مناسبة خاصة ، حيث يتبادل أهل الأندلس فيه الهدايا والحلوى ، وقد اقتبس أهل المغرب عن أهل الأندلس الاحتفال بهذا العيد وطوروا فيه بحيث أصبحت له صبغة أكثر رسمية وذلك فى وقت متأخر حوالى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) (٦).

أما عن مشاركة المسلمين لنصارى الأندلس فى أعيادهم فالثابت تاريخيًا أن المسلمين شاركوا النصارى المعاهدين والمستعربين الذين عاشوا فى ظل الحكم الإسلامى فى أعيادهم واحتفالاتهم ، وهذا من دلائل سياسة التسامح التى اتبعها المسلمون نحو أهل الذمة بالأندلس(٧).

كذلك احتفل المسلمون والمسيحيون بأعياد النصارى وخاصة أن أعياد النصارى تأتى بصف منتظمة وفق التقويم الميلادى أى فى نفس الوقت من السنة الميلادية فكان لها ميعاد ثابت . ومن هذه الأعياد الاحتفال بيوم ميلاد السيد المسيح عليه السلام (عيد الميلاد) أو عيد رأس السنة الميلادية فى الأول من يناير ، وخميس إبريل(٨) (أو خميس العهد)(٩) .

وهناك أيضًا عيد العنصرة(١٠) أو عيد المهرجان أو عيد سان خوان (عيد ميلاد سيدنا يحيى بن زكريا عليهما السلام) وهو من التأثيرات الفارسية التى دخلت الأندلس(١١) وعنهم

أخذه النصارى والمسلمون ، مشاركين الفرس فى الاحتفال به ، وكان يحتفل به فى الأندلس فى الرابع والعشرين من يونية ، وكان الاحتفال به يتم عن طريق إشعال نار كبيرة وإيقاد بعض الشموع ، وكان المسلمون يذهبون لرؤية هذا المنظر ومشاركة النصارى فى احتفالاتهم(١٢).

وقد تمثلت التأثيرات المسيحية على المسلمين فى الأندلس فى اتخاذهم يوم الأحد يوم عطلة رسمية لهم وذلك تشبهًا بالنصارى والمعاهدين والمستعربين ، حيث كانت تتعطل فى هذا اليوم المصالح الحكومية ، وكان أول من سن هذا التقليد قومس بن انتنيان (كاتب الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٢٢٨ - ٢٧٣هـ) - (٨٥٢ - ٨٨٦م) وظل هذا التقليد متبعًا فى عهد المنصور بن أبى عامر (٣٢٨ - ٣٩٢هـ) (٩٤٠م - ١٠٠٢م) وطوال عصر الطوائف(١٣) وحتى دخول المرابطين إلى الأندلس .

ويذكر العزفى فى " الدر المنظوم " أن مسلمى الأندلس كانوا يقلدون النصارى فى الاهتمام بشراء الفاكهة وأنواع معينة من الأطعمة ويتبادلون الهدايا ، وأن أهم هذه التأثيرات المتبادلة بينهم كانت فى الاحتفال بعيد ميلاد السيد المسيح وذلك بسبب ما انتشر واعتقده الأندلسيون وخاصة المسلمون بأن من يحتفل بهذا اليوم يكون عامه الجديد ملىء برغد العيش وسعة فى الرزق وبلوغ الأمل(١٤). ولاشك فى أن اعتقاد مسلمى الأندلس فى هذه الأشياء جاء تبريراً لمشاركتهم نصارى الأندلس فى احتفالاتهم بهذه المناسبة الكبيرة .

ويعلل العزفى فى موضع آخر مشاركة المسلمين للنصارى فى أعيادهم بتأثير الجوار لهم ومخالطتهم لتجارهم ، وعلاقات المودة والتسامح بينهم (١٥). ويضيف العزفى سببًا آخراً لانتشار هذه العادة (أى مشاركة النصارى فى أعيادهم) بين المسلمين وهى ضغط نساء الأندلس على الرجال فى الاستعداد للاحتفال وتفخيم هذه الاستعدادات ورضوخ الرجال حتى أصبحت هذه العادات راسخة لدى المسلمون (١٦).

وقد أنكر بعض المؤرخين المسلمين بالأندلس مشاركة المسلمين للنصارى فى أعيادهم واعتبروها بدعة . وعلى رأس هؤلاء الطرطوشى فى كتابه " الحوادث والبدع " حيث يقول : "ومن البدع اجتماع النساء بأرض الأندلس على ابتياع الحلوى ليلة سبع وعشرين من رمضان (أى فى ليلة القدر) وكذلك على إقامة يناير (رأس السنة الميلادية المسيحية) بابتياع الفواكه كالعجم (أى نصارى إسبانيا) وإقامة العنصرة ، وخميس إبريل ، بشراء المجنبات(١٧)

والإسفنج وهى من الأطعمة المبتدعة وخروج الرجال جميعًا أو أشتاتًا مع النساء مختلطين للتفرج وكذلك يفعلون فى أيام العيد ويخرجون للمصلى ، ويقيمون فى الخيم للتفرج ، لا للصلاة، ودخول الحمام للنساء مع الكتابيات – أى المسيحيات واليهوديات – بغير مئزر ، والمسلمين مع الكفار فى الحمام ، والحمام من البدع ومن النعيم " (١٨).

ورغم اعتراض الفقيه والمؤرخ الأندلسى الطرطوشى على مشاركة المسلمين للمسيحيين وغيرهم فى أعيادهم واعتبارها نوعًا من البدع ، نرى عدم الاكتراث من جانب الأندلسيين ونراهم يأخذون كافة الاستعدادات لمشاركة إخوانهم النصارى فى أعيادهم . فقد أصبحت هذه الأعياد أعيادًا قومية تشارك فيها كافة طوائف الشعب أكثر منها أعيادًا دينية . والذى يشاهد الاحتفالات الإسبانية الحالية فى كثير من المناسبات الخاصة بهم لا يفرقها كثيرًا عما كان يحدث فى الماضى إبان دولة الإسلام هناك . فتذكر المؤرخة الفرسية راشيل آرييه Rachil Aric عن الاحتفالات الغرناطية زمن المسلمين وتقول : " إن الاحتفالات الغرناطية زمن المسلمين كانت تستغرق زمنًا طويلاً من الليل ، فالساهرون فى شوارع غرناطة كانوا يجتمعون متجمهرين يتجولون فى طرقاتها ويتراشون بالماء المعطر ويتقاذفون بثمار البرتقال والليمون وباقات الأزهار ، وغنائهم وضجيجهم هذا كان يزعج النساك فى مضاجعهم ممن يسهرون للخلوة والتعبد (١٩). وما أشبه اليوم بالبارحة فما تذكره آرييه هنا يذكرنا بعيد إسبانى يحتفلون به كل عام فى وقتنا الحالى وهو أن يتقاذف الناس فى هذا العيد بثمار الطماطم .

ومازالت إسبانيا الحديثة متأثرة إلى اليوم بمصارعة الوحوش التى تعرف اليوم بمصارعة الثيران وهى من التأثيرات الأندلسية التى مازالت باقية إلى اليوم (٢٠). وتشير الرواية الإسبانية المسيحية إلى أن الموريسكيين (وهم المسلمون الذين ظلوا فى الأندلس بعد سقوطها تحت الحكم المسيحى الإسبانى ولكنهم ظلوا مسلمين متمسكين بعقيدتهم إلى أن أجبروا على التنصر فيما بعد) استمروا بعد سقوط الأندلس فى أيدى النصارى الإسبان يواصلون الاحتفال بيوم عاشرواء ، وكان يقومون بصومه (٢١).

ثانيًا : فن الغناء والموسيقى :

كان للموسيقى الأندلسية تأثير كبير على مسيحى إسبانيا ، كما كان للتراث الإسبانى الموسيقى تأثير واضح على الموسيقى الأندلسية كما سنوضح لاحقًا . وقد وضح هذا التأثير المتبادل بشكل كبير فى مجال فن الغناء والموسيقى ، حيث بدأ فى الأندلس هذا المجال

بتأثيرات مشرقية وردت إلى الأندلس ثم ما لبثت أن اتخذت صورة محلية تجلت بشكل كبير فى الموشحات الأندلسية .

فبعد ظهور الموشحات والأزجال ، أو ما يعرف بالشعر الشعبى الأندلسى أصبح للموسيقى الأندلسية تأثير واضح على الموسيقى الأوروبية بشكل عام وعلى الإسبان وخاصة فى الشمال الإسبانى المسيحى بشكل خاص (٢٢) . ويذكر بروفنسال Provencal أن فن الموسيقى والغناء وما يصاحبهما من حركات راقصة كان أكثر وسائل اللهو شيوعًا فى الأندلس ، فلم تكن تخلو منهم المجالس التى يعقدها علياء القوم بصفة خاصة بمدينة قرطبة Cordoba وغيرها (٢٣).

أما عن تأثير الشمال الإسبانى على فن الغناء والموسيقى الأندلسية ، فقد ساهمت النساء الجليقيات المجلوبات من الشمال الإسبانى إلى الأندلس فى نقل كثير من المؤثرات الحضارية الأندلسية ، وعلى رأسها فن الغناء والموسيقى ، إذ ساهمن فى إثراء فن الموشحات رغم كونه منتجًا أندلسيًا صرفًا ، من حيث اعتماد مؤلف الموشحات الأندلسى على الأغانى الرومانثية القديمة ، التى أتى بهؤلاء النسوة الجليقيات من بلادهن ، حيث كن يعزفن تلك الأغانى القديمة ويتغنين بها مما حدا بالوشاح الأندلسى العمل على تطويرها واستخلاص فن جديد أندلسى قلبًا وقالبًا (٢٤). ويضيف بروفنسال حول امتداد هذه التأثيرات بين الأندلسيين والإسبان قائلاً:

" يخيل إلينا أن الراقصات الأندلسيات اللاتى نراهن اليوم ينشرن فى الآفاق الأنوار الغنائية المعروفة بإشبيلية ، ومالقة ، ورندة ... وغيرها ، على دقات الصنوج ، ما هن إلا سليلات لفتيات قادس Codiz (٢٥). اللاتى استطعن أن يحملن برقصهن وصلصلة صنوجهن الأغانى العذبة الأندلسية إلى آفاق بعيدة " (٢٦).

والأكثر من هذا هو أن بعض الفتيات من سبى نصارى شمال الأندلس كن يذهبن إلى المشرق الإسلامى ، ويتعلمن فن الغناء والموسيقى حتى يبرعن فيه ، ثم يعدن مرة أخرى إلى الأندلس ، وربما عدن أيضًا إلى بلاط ملوك نصارى شمال إسبانيا ، وهو شيء معقول إذا عرفنا أن كثيراً من المغنيين والموسيقيين المسلمين كانوا يذهبون إلى نبرة وقشتالة وليون وأرجون ابتداء من عصر دول الطوائف بعد أن تجزأت الدولة الأموية وأصبحت بدل قرطبة عدة قرطبات ، وتهافت ملوكها على الشعراء والموسيقيين والمغنيين الذين كان يوجد من بينهم بعض النصارى والمستعربين ، أن التأثير كان متبادلاً ، ولدينا شواهد كثيرة تدل على ميل نصارى الشمال إلى أغانى العرب وموسيقاهم(٢٧) سيلى ذكرها لاحقًا .

أما عن تأثير فن الغناء والموسيقى الأندلسى على نصارى إسبانيا فقد كان للأندلسيين فضلاً كبيراً فى انتشار هذا الفن بين طبقات الشعب الإسبانى وجميع طوائفه ، فيذكر ترند "أن العادات الإسلامية الموسيقية مازالت موجودة فى الموسيقى الإسبانية والأوروبية ، مثال طريقة العزف المعروفة باسم Zambra (أو بالعربية زُمرة) وكلمة Zaeta أى الصبيت ، وتطلق على المغنى المنفرد في أعياد الميلاد المسيحية ، وسلوك السامعين عند سماعهم الغناء والموسيقى لم يتغير حيث يقاطعون العازف أو المغنى معلنين إعجابهم بقولهم Ole Ole (أى الله الله) حتى أن كلمة يا ليل LeLi LeLi أخذها الإسبان عن مسلمى إسبانيا الأندلسيين(٢٨). ويضيف بروفنسال حول هذه الحفلات قائلاً : لقد كانت الحفلات الإسلامية مثار إعجاب شعوب وملوك الشمال الإسبان ، وكانت هذه الحفلات – كما سبق وأشرنا – تعرف باسم زمرة Zambra . وهى عبارة عن فرقة موسيقية يصحبها المغنى أو المغنية وعواد وزامر وطبال وصاجات وراقصون (٢٩). ويضيف أستاذى الدكتور / العبادى أن هذه الزمرات لازالت توجد إلى اليوم لدى غجر إسبانيا فى الشمال والمعروفون باسم Jitanos (٣٠).

ويذكر ابن بسام فى كتابه " الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة " أن مسيحى الشمال الإسبانى اتخذوا بعضًا من العادات الإسلامية ، ومن بينها أن تكون لهم فرقة من الموسيقيات والمغنيات ، حيث يشير أبو محمد بن الحسن المعروف بابن الكنانى : أنه شهد بنفسه يومًا مجلس " لسيدة مسيحية إسبانية " وهى بنت شانجة ملك البشكنس ، وزوج شانجة بن غرسية الذين ترددوا عليه فى الفتنة التى حدثت عام ١١٣٢م – ٥٢٧هـ . وكان فى المجلس عدة فتيات مسلمات من اللاتى وهبهن له سليمان بن الحكم الملقب بالمستعين (ت ٤٠٧هـ / ١٠١٦م) أيام إمارته بقرطبة ، وأشارت ابنة شانجة إلى إحدى الجوارى فى تلك الفرقة الموسيقية فأخذت العود وغنت وأحسنت (٣١).

ومن الأبيات الشعرية التى غنتها الجارية الأندلسية فى حضرة الأميرة الإسبانية هذه الأبيات التى أوردها ابن بسام ومنها :

خليلى ما للريح تأتى كأنما

يخالطها عن الهبوب حلوق

أم الريح جاء من بلاد أحبتى

فأحسبها ريح الحبيب تسوق

سقى الله أرضاً حلها الأغيد الذى
لتذكاره بين الضلوع حريق
أصار فؤادى فرقتين فعنده
فريق وعندى للسياق فريق (٣٢).

وتدعم تلك الأبيات الشعرية رأينا فهم مسيحى إسبانيا للشعر والموسيقى الأندلسية والاستمتاع بهما . ويؤكد هذا ما ذكره ابن بسام أيضًا فى معرض حديثه عن سقوط مدينة بربستر(٣٣) Barbastro الإسلامية . فقد كان نصارى الشمال الإسبانى يفهمون جيداً الغناء الأندلسى ، ويطربون له ، فبعد سقوط مدينة برشتر فى أيدى النصارى عام (٤٥٦هـ / ١٠٦٤م) طلب أحد قواد المدينة من إحدى الجوارى الأندلسيات المسلمات اللاتى تم سبيهن عقب سقوط المدينة بأن تمسك بعودها وتغنى ، وكان مع هذا القائد النصرانى ضيف من اليهود المستعربين ، جاء إلى هذا القائد ملتمساً فدية بنات لبعض وجوه من نجا من أهل المدينة ، ورغم أن اليهودى لم يفهم شيئًا من الأشعار التى غنتها الجارية – على حد تعبير ابن بسام – إلا أن النصرانى طُرب وأظهر هذا الطرب لما سمعه من الموسيقى والأغانى الأندلسية(٣٤).

وفى كتاب أناشيد الفونسو العاشر Alfonso X صور يظهر فيها موسيقيون مدجنون ومسيحيون يمسكون بآلاتهم الموسيقية ، وبعض الآلات الوترية الممثلة فى الرسم ، تبدو محدثة وتختلف بعض الشىء عن الآلات الوترية الإسلامية المعروفة . وفى السقف الخشبى بكاتدرائية ترويل صوراً لأفراد يلبسون ثيابًا مدجنة ومعهم آلة موسيقية . كما تظهر على صفحة من مخطوطة مسيحية يرجع تاريخها إلى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) صورة امرأة ترتدى زى المدجنات تعزف على الجنك . وهناك نقش بارز مدجن الطابع يتمثل فى تابوت يرجع تاريخه إلى سنة ١٣٩٠م / ٧٩٢هـ . وكان محفوظًا فى دير نويسترا سنيورة ذى بيدرا يحمل صوراً تمثل موسيقيين (٣٥).

هذا قد أثر الشعر الغنائى الأندلسى والوشحات والأزجال الأندلسية على شعر التروبادور(٣٧) Trowbadours والتروفير والشعراء الأوروبيين المنشدين المعروفين فى اللغة القشتالية باسم Las Jughares (٣٧).

وقد تأثرت الموسيقى الأندلسية وخاصة موسيقي الصقالبة[٣٨] بالنصارى والرهبان المسيحيين وبتراتيلهم الموسيقية التى يؤدونها فى الكنائس ، فنفهم من نص أورده الطرطوشى عن الألحان والرقصات الخاصة بالصقالبة ، أنه كان لهم ألحان خاصة بهم ويقول الطرطوشى " ثم جعلوا لكل لحن منها اسمًا مخترعًا فقالوا : اللحن الصقلبى فإذا قرأوا قوله تعالى :{ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ } [٣٩] يرقصون من هذه الآية الكريمة كرقص الصقالبة بأرجلها . وفيها الخلاجيل – الجلاجل – ويصفقون بأيديهم على إيقاع الأرجل ويرجعون الأصوات بما يشبه تصفيق الأيدى، ورقص الأرجل وكل ذلك على نغمات متوازنة [٤٠].

وقد كان الصقالبة ينظرون إلى كل موضع فى القرآن الكريم يأتى فيه ذكر النبى عيسى بن مريم عليه السلام كقوله تعالى "{إنما المسيح عيسى بن مريم }[٤١] وقوله تعالى { وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ}[٤٢] فيمثلون أصواتهم فى قراءة القرآن على أصوات النصارى والرهبان والأساقفة فى الكنائس بإيقاعات راقصة [٤٣].

وهكذا حتى قراءة القرآن دخلتها الألحان والموسيقى تأثرًا بالتراتيل التى يغنيها المسيحيون فى كنائسهم حيث يضيف الطرطوشى بأن هذه البدع فى استحداث الألحان والرقصات فشت بصورة كبيرة ، حتى إن الجوارى كن يتعلمن قراءة القرآن الكريم بالألحان والموسيقى ويتعلمن ذلك كما يتعلمن غنائهن للقصائد والأشعار .

ويتعجب الطرطوشى بشدة متسائلاً : هل هذه القراءة هى التى يقرأها الرسول ﷺ [٤٤] وبالطبع ليست هى ولكنها التأثيرات الإسبانية المسيحية التى دخلت على المسلمين حتى فى أدق تفاصيل عباداتهم بحكم الجوار بين الطرفين .

ويضيف أستاذى الدكتور / أحمد مختار العبادى حول ألحان الصقالبة السابقة الذكر ويقول : ربما كانت هذه الألحان هى الإرهاصات الأولى لما يعرف اليوم بالرقص الإسبانى الحديث المشهور بالفلامنكو Flamenco[٤٥] ومن هنا يتضح أن هذا التأثير مازال واضحًا إلى اليوم فرقصات الفلامنكو الإسبانية الحديثة ما هى إلا طورًا من أطوار الموسيقى والرقصات الإسبانية الأندلسية [٤٦].

أما عن آلات الموسيقى فيعتبر الجيتار الأوروبى فى عصرنا الحالى متطورة ومشتقة فى الأصل من العود الأندلسى .

وهناك الكثير من الآلات الموسيقية التى مازالت تحمل اللغة الإسبانية أسمائها العربية إلى اليوم مثال الجيتار أو القيثارة Guitarra ، والرباب Rabal والنفير Anafil والبنذير Pan-dera والصنج Sanajas والطبل Tambal والدف أو المزهر Adufe والعـــود Aloud أو Lut[٤٧] وهذه الأسماء التى مازالت إلى اليوم فى اللغة الإسبانية خير شاهد على تأثير فن الغناء والموسيقى الأندلسية ، على إسبانيا قديمًا وحديثًا . ومن هنا نقول أن الموسيقى الأندلسية الراقية ستظل النبع الذى لا ينضب على مر الأجيال ينهل منه عشاق النوق الرفيع ، والطرب الأصيل ، فمازالت إلى اليوم الموشحات الأندلسية تمثل النوق الراقى ، فهو تراث عريق تركته حضارة عريقة فى أزهى عصورها فى شبه الجزيرة الأيبيرية ، ورغم أن الدول دالت واندثرت تظل الموسيقى الأندلسية واحدة من أبرز المؤثرات الحضارية التى خلفتها تلك الحضارة العريقة .

ثالثًا : الزى والحلى والأسماء واللغة وغيرها :

أ – الزى :

أدت العلاقات المستمرة بين المسلمين والمسيحيين بحكم الجوار والتداخل الحضارى ، أن يستخدم كلا الجانبين الأشياء نفسها من الأقمشة والأثاث وأدوات الزينة والحلى ، ولقد قام المستعربون واليهود بدور الوسيط بين شمال إسبانيا والأندلس فى الجنوب [٤٨].

وفى البداية خاصة فى أوائل الفتح الإسلامى للأندلس كان للمسلمين زيهم الخاص بهم ، حيث كانوا يتقلدون السيوف ويتأبطون الرماح ، ويتنكبون القسى ، وكانوا يلبسون العمائم ، وبمضى الوقت كما يذكر ابن الخطيب صاروا يتشبهون بالنصارى فى أزيائهم وأسلحتهم ، يلبسون الدروع ويغوصون فى الزرد ، ويقتنون سيوف بوربو – بلدة فى فرنسا – وقسى الأفرنجة ، التى كانوا يتدربون عليها طوال الوقت ، وتركوا العمائم ، وصاروا يلبسون الكمة الهندية .

أما أمراء المسلمين وشيوخهم وقضاتهم فكانوا يلبسون القلانس ، ويتجنبون العمائم ، ويلبسها إلا ما شذ منهم [٤٩].

وينكر بروفنسال Provencal أن تأثير المسلمين على الإسبان فى مجال الزى كان واضحًا وذلك اعتبارًا من القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى ، حيث دخلت أزياء قرطبة وإشبيلية ، وطليطلة وسرقسطة الإسلامية فى دور أمراء المسيحيين فى شمال البلاد ، وكانت سفارات

ملوك نبرة وليون وقشتالة وبرشلونة تفد إلى بلاط قرطبة أيام الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠هـ / ٩١٢ - ٩٦١م) . وخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦هـ / ٩٦١ - ٩٧٦م) وابن أبى عامر (٣٢٨ - ٣٩٢هـ / ٩٤٠ - ١٠٠٢م) وابنة عبد الملك المظفر (ت٣٩٩هـ/١٠٠٩م) وتعود محملة بأفخر الملابس والأزياء والهدايا والتحف وغيرها (٥٠). وقد جاء فى النصوص التاريخية التى نقلت لتلك الفترة أن ملوك إسبانيا فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) كانوا يرتدون من ثياب المسلمين ، ويقلدونهم فى اتخاذ الفُرش المستخدمة للجلوس ، وقد حدث عندما فُتح التابوت الذى كان يحتوى على رفات السيد القمبيطور ، بعد ذلك بمدة طويلة وفى أيام الإمبراطور شارلمان سنة ١٥٤١م / ٩٤٨هـ على وجه التحديد ، أن وجدت جثته ملفوفة فى رداء عربى ومعها سيف ورمح ، وق عاش القمبيطور فى القرن الخامس الهجرى ، وكان يعيش مع المسلمين والنصارى ، فلا غرابة فى اتخاذه الملابس العربية عندما كان حيًا أو تكفينه بها بعد وفاته (٥١). وقد تأثرت الأزياء الإسبانية بالأزياء الأندلسية تأثرًا كبيراً فينكر هنرى بيرس Henere Pérès أن الكنابيش -cum bux(٥٢) مازالت تستخدم إلى اليوم فى الريف الإسبانى وبخاصة فى الريف الجنوبى "الأندلس" وفى شرق إسبانيا أيضًا حيث التأثير الإسلامى مازال باقيًا فى أزيائهم إلى يومنا هذا (٥٣).

وقد انتقل التأثير الإسلامى إلى داخل مقاطعة روسيليون Roussillon بجنوب فرنسا وهى من الحدود المشتركة بينها وبين إسبانيا ، حيث وجد هناك الزنار ، Zanion وهو الذى تحكم به السراويل Zaraguelles حيث تم نقله عن نساء المسلمين بالأندلس ومازال هذا التأثير أيضًا باقيًا إلى اليوم (٥٤).

ومن التأثيرات الإسلامية فى مجال الزى تأثر صناعة النسيج فى إسبانيا النصرانية بمثيلاتها فى الأندلس الإسلامية ، حيث تدل قطع النسيج التى عثر عليها فى الكنائس على ذلك، فهناك البطانة الموجودة فى صندوق العاج الذىَ أهداه الملك فرديناندو الأول لكنيسة سان أيسيدور لحفظ سان خوان باتستا ، وسان بلامون سنة ٤٥١هـ / ١٠٥٩م ، والنسيج عبارة عن قطعة به صور طيور وحيوانات ذات أصل عربى وعليه كتابة عربية لعل قراءاتها كالتالى :

" النفع ذخرًا لمن أراد العالم الآخر "

مما يدل على أنها نُسجت صراحة لغرض كنسى بأيدى خلفاء أولئك المستعربين من نساجى الملك الذين كان أواهم ألفونسو الخامس عام ٤١٦هـ / ١٠٢٤م(٥٥).

وهكذا نرى تأثر مسيحى إسبانيا بالأزياء العربية وخاصة فى أوج مجد الحضارة الإسلامية فى الأندلس ، بل إن أوروبا المسيحية جميعها وليس إسبانيا فقط ، شغفت بتلك الملابس الأندلسية شغفًا شديداً ، حتى أن عظماء وملوك المسيحيين من كثرة إعجابهم بالمنسوجات الأندلسية ، وضعوا بعد موتهم فى أكفان نفيسة من صناعة نسيج المرية Alme-ria(٥٦) مثل الأمير دون فيليب وزوجته والمؤرخ دون رودريجو خيمنث دى رادا وغيرهم (٥٧).

أما مع نهايات الحكم الإسلامى فى مملكة غرناطة نجد أن التأثير المسيحى فى الزى بدأ يفرض نفسه ، ويتضح هذا مع دخول مصطلحات جديدة على الأزياء الأندلسية ، بوجه عام ، إلى أن اندثر الزى الإسلامى بصفة نهائية مع صدور القرارات المسيحية التى فرضت على المسلمين الموريسكيين(٥٨) نساءً ورجالاً الالتزام بارتداء الزى المسيحى والتخلى عن الزى الإسلامى الخاص بهم .

هذا وقد لاحظ ابن خلدون فى مقدمته أن الزى الأندلسى على أيامه قد تأثر بزى الشعوب المسيحية المجاورة ، حيث أن المغلوب دائمًا مولع بالاقتداء بالغالب فى شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائدهم وأحوالهم " (٥٩).

وقد برز هذا التأثير المسيحى بصورة واضحة فى زى أهل مدينة غرناطة ، فى نفورهم من العمامة التقليدية للخاصة والعامة وتفضيلهم للقلنسوة . كما يبدو من الصورة التى وجدت للأمير أبى عبد الله محمد الصغير آخر ملوك غرناطة ، حيث تصوره وهو يرتدى قلنسوة مسيحية عالية (٦٠).

ورغم تأثر المسلمين فى أواخر عهدهم بالأندلس بالأزياء المسيحية إلا أن الأقمشة الغرناطية التى كانت تنتجها مصانع غرناطة وتعرف باسم جرينادين Grenadine وعرفت واشتهرت بهذا الاسم فى المتاجر الأوروبية ظلت لوقت طويل تحمل اسم المدينة الإسلامية العريقة (٦١).

وقد كان من عادة سلاطين غرناطة تقديم هداياهم أيام دولتهم من منسوجات المدينة إلى ملوك أوروبا ، وكان هذا الإنتاج الغرناطى يحوز إعجاب وتقدير ملوك أوروبا وإسبانيا المسيحية(٦٢).

وفى نهاية هذه العجالة الخاصة بالزى نشير إلى بعض أسماء الملابس العربية التى انتقلت إلى اللغة الإسبانية وماتزال تستعمل حتى يومنا هذا ومنها كلمة جلابية Ghilaba وقميص Camisa وسروال Zaraguelle (٦٣) القطيفة Alcatifa (٦٤). وغيرها .

ب – الحُلى :

كان معظم المشتغلين بصناعة الحُلى فى مدينة قرطبة – حاضرة الخلافة الأموية – من اليهود ، وقد كانت الحلى تصاغ على طريقتين إما الأسلوب القوطى الذى ظل يحتفظ به النصارى الإسبان ، أو الأسلوب المشرقى وخاصة الطراز العراقى (٦٥).

ويضيف بروفنسال عن الحلى الأندلسية والتأثيرات التى طرأت عليها ويقول ، إنها فى البداية خضعت للتأثيرات الإسبانية القوطية القديمة ، إلى أن بدأ تدفق الطرق التجارية فظهرت عليها التأثيرات العراقية والإيرانية بصورة أكبر(٦٦) وهو ما يدعم ما تنادى به من خلال هذا البحث فى عدم تركز الحضارة فى موطن معين ، بل تنقلها فى مشارق الأرض ومغاربها من قديم وإلى النهاية .

فلا توجد حضارة تقوم وتبتكر بذاتها لابد لها أن تتأثر بالحضارات السابقة عليها ثم تبدع وتبتكر الجديد تبعًا لقيام أهلها بها ، وهذا ما حدث مع الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى أخذت وأبدعت وأخرجت لنا خصائص جديدة تميزت بها فى سائر العصور .

ونتيجة لهذا التجديد والابتكار الذى تفردت به الحضارة الإسلامية فى الأندلس فى مجال الحُلى ، احتلت مدينة قرطبة مكانة عالية ، وتفوقت على بيزنطة فى صناعة الحلى والجواهر وذلك فى القرن العاشر الميلادى (الرابع الهجرى) (٦٧).

وقد كانت نساء الشمال الإسبانى يحرصن حرصًا كبيرًا على اقتناء بعض قطع الحُلى الإسلامية، ومن هذا ما حدث مع عقد الشفا أو الشبا المنسوب إلي السيدة زبيدة بنت جعفر زوجة الخليفة هارون الرشيد ، والذى دخل إلى الأندلس واشتراه الخليفة عبد الرحمن الأوسط لإحدى زوجاته . وكان هذا العقد من الأشياء التى نهبت من بغداد فى إبان الفتنة والحروب التى قامت بين الأمين والمأمون (٦٨) ويبدو أن هذا العقد الثمين حظى علي شهرة واسعة مما جعل إحدى ملكات إسبانيا المسيحية تحرص على اقتنائه (٦٩).

جـ – اللغة :

يذكر ترند تأثير اللغة العربية على اللغة الإسبانية وغيرها ويقول : إن المفردات العربية التى دخلت إلى اللغة الإسبانية تقدر بربع محتويات القاموس الإسبانى ، بينما دخلت إلى البرتغال حوالى ثلاثة آلاف كلمة (٧٠). ويضيف ترند أن أسماء الجبال والتلال والجزر والشواطىء

الرملية والأنهار والبحيرات والينابيع الحارة ، والسهول والحقول ، والغابات والحدائق ، والأزهار والأشجار ، والكهوف والمناجم ... إلخ . كل هذه أصبحت أعلامًا جغرافية مأخوذة عن العربية (٧١).

ومن هنا نبرز تأثر مسيحى الأندلس باللغة العربية تأثرًا كبيرًا ، حيث دار صراع فكرى كبير بين رجال الدين المسلمين والمسيحيين واليهود ، وكانت حركة الاستشهاد المسيحى فى قرطبة فى أيام الأمير عبد الرحمن الأوسط فى منتصف القرن الثالث الهجرى ، ما هى إلا رفضًا للثقافة الإسلامية الطاغية ، ويبرز ذلك فى شكوى القس الفارو – وهو من زعماء حركة الاستشهاد ومن كبار المحرضين عليها – وغيره من القسس من إقبال مسيحى الأندلس على الأدب والثقافة العربية وإهمالهم الثقافة والأدب اللاتينى ، حتى أن الواحد منهم كان لا يستطيع أن يكتب رسالة باللغة اللاتينية بينما كان يتبحر فى دراسة اللغة العربية وآدابها(٧٢).

ولم تقتصر الشكوى من زحف اللغة العربية على المسيحيين بل امتدت إلى يهود الأندلس ، فقد أعلن ابن جبيرول (٤١١ – ٤٦٢هـ / ١٠٢١–١٠٧٠م) شكواه ضد بنى نحلته من اليهود ، من أهل مدينة سرقسطة ، وأخذ يتحسر على انصرافهم عن لغتهم المقدسة (ويقصد هنا اللغة العبرية) إلى اللغة العربية ، وأطلق عليهم تسمية الجماعة العمياء ، إذ كان بعض اليهود يتكلمون – على حد تعبيره – لغة إيديوم Edom أى عجمية أهل الأندلس ، وبعضهم يستعمل لغة كيدار Kedar أى اللغة العربية ، وقد حاول بعض اليهود الذين أعلنوا سخطهم على اليهود المتكلمين باللغة العربية وتفضيلها على اللغة العبرية أن يثبتوا أن لغتهم العبرية لا تقل ثروة وجمالاً ، فأقبل بعضهم على ترجمة مقامات الحريرى إلى اللغة العبرية (٧٣). فى محاولة لجذب يهود الأندلس بعيدًا عن اللغة العربية وإلحاقهم بلغة اليهود العبرية .

وعلى الجانب الآخر بين مسلمى الأندلس فقد كان كثير من أدباء قرطبة وغيرها من حواضر الأندلس يعرفون اللغة اللاتينية أو لهجاتها الأخرى التى عرفت فى إسبانيا المسيحية باللهجات أو اللغات القشتالية والبرتغالية والقطالونية وجميعها مشتقة من اللغة اللاتينية (٧٤).

وقد تأثرت هذه اللهجات الإسبانية باللغة العربية حيث دخلت فيها آلاف آلاف من الكلمات العربية ، حيث كانت بلاد الأندلس وطنًا تتعايش على أرضه اللغة العربية واللاتينية وأصبح الناس هناك يتكلمون إلى جانب اللغة العربية التى كانت اللغة الرسمية للبلاد ، يتكلمون رطانة لاتينية دارجة يسميها ابن حزم باللطينية ، ويصفها البعض بعجمية أهل الأندلس ، وكانوا

يستخدمونها فى شئونهم اليومية وأحاديثهم فيما بينهم ، بل إنها كانت شائعة فى بلاط الخلفاء أنفسهم (٧٥).

ومن التأثيرات الإسبانية الواضحة على اللغة العربية اقتصار استعمال اللغة العربية الفصحى على الأدب والمكاتبات الرسمية ، وتأثرت اللغة العربية العامة كثيراً بسبب المجاورة والمخالطة للإسبان ، فقد كان الأندلسيون يكثرون من الإمالة والترقيق والتفخيم ، وقد أشار ابن حزم إلى ذلك عندما تحدث عن أهل قبيلة " بلى " إلى الشمال من قرطبة وقال أنهم لا يحسنون الكلام باللطينية وكأن الكلام بعجمية أهل الأندلس شيئًا عاديًا ، وهو مد يعنى تأثر اللغة العربية باللغات المحلية الإسبانية كثيراً فى الأندلس .

ويعلل ابن حزم ذلك قائلاً : " وهكذا فى كثير من البلاد فإنه بمجاورة أهل تلك البلدة بأمة أخرى تتبدل لغتها تبديلاً يخفى على من يأمله " (٧٦).

هذا وقد تأثرت الأسماء الأندلسية العربية باللغة الرومانسية الإسبانية حيث كان الاسم دائمًا ما ينتهى بالحرفين واو ونون مثل عمر (عمرون) وزيد (زيدون) وحفص (حفصون) ، ونزهة (نزهون) ... إلخ . وهو تأثير محلى إسبانى ، فمن المعروف أن حرفى on فى آخر الكلمة الإسبانية تدل على التعظيم والتضخيم والتكبير (٧٧).

وفى نهاية هذه النقطة ورغم التأثيرات الإسبانية الواضحة على اللغة العربية ظل مسلموا الأندلس متمسكين بلغتهم العربية فى محاولة أخيرة منهم للتمسك بهويتهم العربية الإسلامية إلى آخر لحظة لوجودهم فى شبه الجزيرة الأيبيرية ، يبرز هذا من خلال وثائق الألخميادا وهى اللغة الرومانثية القشتالية القديمة Romana Castella (أى الإسبانية) ولكن مكتوبة بحروف عربية ولذا سميت أعجميات ، وقد ظهرت هذه اللغة بين مسلمى الأندلس أو الموريسكيين فى ظل حركة التنصير القسرى كمحاولة منهم للتمسك بماضيهم العريق (٧٨).

د – النظافة والذهاب إلى الحمامات :

وقد امتنع نصارى إسبانيا مشاركة منهم لجيرانهم مسلمى الأندلس عن كثير من العادات المسيحية واتخذوا فى عاداتهم الكثير من العادات الإسلامية ، فامتنعوا عن أكل لحوم الخنازير، وقاموا بختان أولادهم مثل المسلمين ، واتخذوا كثير من الأسماء العربية (٧٩). ومن العادات الإسلامية التى تأثر بها مسيحى إسبانيا من المسلمين عادة النظافة بالذهاب إلى

الحمامات العامة ، فتلك عادة إسلامية الأصل ، فقد كان النصارى الإسبان قبل دخول المسلمين الأندلس لا يغتسلون فى العام غير مرة واحدة أو مرتين بالماء البارد ولا يهتمون كثيراً بنظافة ثيابهم وغيرها من العادات (٨٠).

وقد كان المسلمون مع دخولهم الأندلس قد قاموا بإنشاء العديد من الحمامات العامة للرجال والنساء ، ولكن مع نهاية الحكم الإسلامى اندثرت هذه العادة مرة أخرى نتيجة لتشدد الكنيسة ورجال الدين المسيحيين ، ضد كل ما هو إسلامى ، وبخاصة عادة الاستحمام ، حتى تلاشت من إسبانيا بصفة نهائية فى القرن السادس عشر الميلادى ، بل أكثر من هذا صدر كتاب فى فرنسا يحذر الفتيات من اتباع هذه العادة الإسلامية إلا إذا أمر الطبيب بغير هذا ، على ألا يزيد عن مرة واحدة فى الشهر مع الحذر الشديد من تلك العادة الإسلامية (٨١).

وقيل أن الملكة الكاثوليكية إيزابيلا(٨٢) كانت لا تغتسل غير مرة واحدة فى الشهر (٨٣).

وقد كانت الحمامات من أهم الآثار الإسلامية التى تركها العرب فى إسبانيا عقب سقوطها ولمحو هذه العادة الإسلامية كانت أوامر ملوك إسبانيا النصارى بهدم كل الحمامات العامة لأنها من آثار المسلمين ، والأكثر من هذا تشدداً أن هناك راهبة من راهبات إسبانيا المسيحية أخذت تفخر فى مذكراتها بأنها حتى بلغت سن الستين لم يمس الماء منها غير أناملها عندما كانت تغمسها فى ماء الكنيسة المقدس (٨٣).

ورغم ما بالقصة من مبالغة إلا أنها توضح نبذ نصارى إسبانيا لهذه العادة الإسلامية الأصيلة .

هـ – عادات أخرى :

ومن العادات الأخرى التى أخذها نصارى إسبانيا عن المسلمين الكرم وحسن الخلق ، وتخلصوا من همجيتهم بفضل اتصالهم بالمسلمين واقتباسهم منهم طباعهم النبيلة ، ومبادئ فروسيتهم التى منها مراعاة النساء والشيوخ والأطفال واحترام العهود والوفاء بالوعود ، ورقة العواطف ولين الطباع ، حتى قال بعض مؤرخى النصارى ومتدينيهم " أنه يشك فى أن المسيحية كانت تستطيع وحدها أن تأتى بمثل ذاك التأثير مهما بولغ فى كرمها وتأثيرها ، فلم يكن المسلم مدمراً أو مخرباً ، وإنما كان مبدعاً منشئاً للمدن والقصور والبساتين ، ورغم أصله البدوى القاسى ، إلا أنه كان يحب اللين والترف ويستطرف الجمال فى شتى صورة ويستطيب الحياة الناعمة "(٨٥) . وقد بلغ التسامح فى الأندلس إلى حد أن كان المسلمون يزورون كنائس

النصارى وكان النصارى يزورون قبور أولياء المسلمين لنيل البركة منهم (٨٦)، وكانت الكنائس أيضًا مفتحة الأبواب للمارة سواء من النصارى أوالمسلمين ، تغدق عليهم من كرمها وأطايب طعامها وشرابها حتى أن بعض المسلمين كانوا يبيتون فيها (٨٧) . وفى الخاتمة أود أن أذكر كلمة فرغم النهاية الفاجعة التى منى بها الإسلام والمسلمين فى الأندلس بعد ثمانية قرون ونيف من الوجود والتفاعل الإسلامى على أرض شبه الجزيرة الأيبيرية ، ورغم محاولات حكام إسبانيا المسيحيين طمس هوية التأثيرات الإسلامية فى شبه الجزيرة مازالت هذه التأثيرات واضحة وضوح الشمس إلى اليوم فى كل مجالات الحياة الاجتماعية بصفة خاصة ، فلم يكن من السهل محو هذه التأثيرات التى تشربت بها الحياة الإسبانية لأكثر من ثمانية قرون كاملة .

وقد بدأ هذا الدور فى الحفاظ على الحياة الإسلامية والعادات والتقاليد الخاصة بالمسلمين مع الموريسكيين الذين ظلوا على إسلامهم سراً فى ظل الحكم المسيحى ، حيث احتفظوا بكثير من عاداتهم الإسلامية ، ومنها الاحتفال بمولد الطفل ، حيث يذبحون بتلك المناسبة ذبيحة تسمى العقيقة ، ويكتبون على جبهة المولود بعض الكلمات ، ويعلقون الأحجبة التى تتضمن بعض الآيات القرآنية ، ويسمى المولود باسم إسلامى ، كما يجرى له الختان فى اليوم التاسع لمولده ، ثم أصبح فيما بعد العام التاسع (٨٨).

ولم تذهب حضارة المسلمين فى شبه القارة الأيبيرية هباءً ، حيث شعر الإسبان بأهمية المسلمين الموجودين فى الأندلس ، حتى بعد سقوط مدينة غرناطة ١٤٩٢م/٨٩٧هـ حيث يوجد الكثيراً من المسلمين ومع الضغط الشديد وعمليات التنصير القسرى التى تعرضوا لها كانوا أمام أحد خيارين إما التنصير أو الهجرة . وبالفعل آثر البعض الهجرة فراراً بدينه فى المقام الأول، أما من بقى منهم وفى كثير من الأحيان تحت ضغط مصالحهم المرتبطة بالمكان فقد أجبروا على التنصر .

ورغم هذا شعر الإسبان بأهمية هؤلاء فى بعض الأعمال الضرورية التى لا يجيدها الإسبان . وتم دمجهم بالنصارى ، وأسند إلى القليل منهم أعمالاً ذات أهمية لعدم إتقان الإسبان النصارى مثل هذه الأعمال ، وهذا السبب جعل النصارى الإسبان يتمسكون بهؤلاء الأشخاص ، وإذا تذمر أحدهم فإن محاكم التفتيش كانت تنزل به أقسى العقوبات الجسدية ، ويضعونه تحت الإقامة الجبرية ، ليزاول لهم الأعمال المطلوبة (٨٩).

ففى غرناطة على سبيل المثال أجبر المسئولون على تسخير اثنى عشر شخصًا من الموريسكيين من صناع السواقى أن يعملوا فى أقنية الماء فى الحمراء ، وجنة العريف ،

والمجلس الملكى ، والبيوت الخاصة ، وهى أعمال فى غاية الدقة والفنية ، ويصعب على الإسبان إتقانها . كما طُلب من اثنى عشر شخصًا آخرين ممن يجيدون صناعة الجلود والحرير ، أن يقدموا الخدمات الإجبارية خاصة فى صناعة الحرير (٩٠).

وفى النهاية لا أود أن استطرد فى ذكر التأثيرات الإيجابية للحضارة الإسلامية فى الأندلس ، وإنما حاولت من خلال هذا البحث أن أوجد عوامل مشتركة بين كلا الجانبين الإسلامى والمسيحى على أرض شبه الجزيرة الأندلسية .

الهوامش

1 - Leve provencal : Histoire de L'Espagne musulmane, Tomo III, Paris 1967, 429 .

٢ – جوستاف لوبون : حضارة العرب ، تعريب : محمد عادل زعيتر ، مصر ١٩٤٥م ، ص٢٩٢ . ٢٩٣ .

Crow (John.A.) Spain: The root and the flowers, new York, 1963, p. 56 .

٣ – أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ، بدون تاريخ ، ص ١١٠ .

٤ – أحمد مختار العبادى : الأعياد فى مملكة غرناطة ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية ، مدريد ، المجلد الخامس عشر ، ١٩٧٠م ، ص ١٤٠ ومايليها .

Leve Provencal : Op.Cit, tomo III, p. 437 .

Abbadi (Ahmad Mujtar Abbadi) : El reino de Granada en La Época de Muhammed V, Madrid 1973, pp. 157 , 158 .

٥ – العبادى : نفس المرجع والصفحة ؛ العبادى : الإسلام فى أرض الأندلس أثر البيئة الاوروبية ، مجلة عالم الفكر ، المجلد العاشر ، العدد الثانى سنة ١٩٨٤م ، ص ٣٩١ ؛ أحمد محمد الطوخى : مظاهر الحضارة فى الأندلس فى عصر بنى الأحمر ، الناشر مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ١٩٩٧م ، ص ١١٩ .

R.Dozy: Supplément aux Dic.ionnairs Arabes, Leyden 1881, Tomo I, p. 621; Heneri pérès : La poésie Andalouse en Arabe classique au siécle x1, Paris, 1953, pp. 303 - 304 .

٦ – العبادى : الأعياد فى مملكة غرناطة ، ص ١٤٨ .

٧ – العبادى : الإسلام فى أرض الأندلس ، ص ٣٩١ ؛ سحر عبد العزيز سالم : مظاهر الحضارة فى بطليوس ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٩٥م ، ص ٢٦٢ – ٢٦٣ .

Fernando De La Granja : Fiestas Cristianas en Al-Andalus, Revista al-Andalus XXXIV, Madrid 1969, p.2 .

٨ – خميس إبريل أو خميس العهد ، وهو من أعياد النصارى ومن طقوسه ملء إناء بالماء، ثم ترتيل بعض أجزاء من العهد الجديد عليه ، ثم يغسل البطريرك بهذا الماء أرجل بعض الناس كما فعل السيد المسيح عليه السلام مع تلاميذه فى هذا اليوم كى يعلمهم التواضع ، ويأخذ عليهم العهد بالتواضع وعدم التفريق وبعض النصارى على مذهب معين يسمونه خميس العدس ، حيث يطبخون فيه العدس على أشكال مختلفة وفى الأندلس يسمى خميس إبريل .

– سعيد سيد أحمد أبو زيد : الحياة الاجتماعية فى الأندلس ، فى عصر دولتى المرابطين والموحدين (٤٨٤ – ٦٢٠هـ/١٠٩١–١٢٢٣م) كلية الآداب ، جامعة المنوفية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦م ، ص ١٨٥ ، هامش ٤ .

٩ – كمال أبو مصطفى : مالقة الإسلامية فى عصر دويلات الطوائف (القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى) الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٩٣م ، ص ٨٧ .

١٠ – إقامة العنصرة ، أو عيد العنصرة ، أو عيد المهرجان ويسمى أيضًا عيد الخمسين أو حلول الروح القدس أو نزول السيد المسيح عليه السلام على تلاميذه الحواريين بعد انقضاء خمسين يومًا على رفعه أى قيامته مرة أخرى ، ويعرف فى أسبانيا بعيد القديس سان خوان San Juan ومازالوا يحتفلون به إلى الآن يوم ٢٤ يونيو من كل عام .

– للمزيد راجع : أنخل جنثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسى ، ترجمة د/ حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٥٥م ، ص ٢١ ؛ أحمد محمد الطوخى : مظاهر الحضارة فى الأندلس ، ص ١١٨ – ١١٩ .

Dozy : Op.Cit. Tomo II, p. 621 ; H Pérès : La Poésie, p. 304 .

١١ – ومن المؤثرات الفارسية المشرقية التى وصلت إلى شبه الجزيرة الايبيرية وأثرت فى شعبها مسلمين ومسيحيين عيد النيروز (أى عيد الربيع) وهو عيد أول السنة الشمسية عند الفرس ، وهو عيد قديم من أعياد الفرس ، ويوافق أول قدوم فصل الربيع ، ويذكر ليفى بروفنسال أن أهل الأندلس كانوا يحتفلون به أيضًا يوم الاعتدال الربيعى فى السابع عشر من مارس .

Leve Provencal : Histore, Tomo III, p. 438 .

– أما هنرى بيرس فيذكر أن عيد الربيع فى الأندلس كان يحتفل به أول شهر يناير .

H. Pérès : La poésie, p. 303 .

١٢ – المسعودى : (أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى) ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الثانى ، ١٩٨٦م ، ص ٢١٢ ؛ العبادى : الرسلام فى أرض الأندلس ، ص ٢٩١.

Leve Provencal : Histore, T III, p. 438 .

١٣ – ابن حيان : (أبو مروان بن حيان القرطبى) ت ٤٦٩هـ / ١٠٧٦م ، المقتبس فى أنباء أهل الأندلس ، تحقيق د/ محمود على مكى ، لبنان ، بيروت ١٩٧٣م ، ص ١٣٨ ؛ العبادى : الإسلام فى أرض الأندلس، ص ٣٩٠ ، ٣٩١ ؛ كمال أبو مصطفى : مالقة الإسلامية ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ ، هامش ٦ ؛ حمدى عبد المنعم حسين : مجتمع قرطبة فى عصر الدولة الأموية ، رسالة دكتوراه نوقشت بآداب الإسكندرية ، ١٩٨٤م ، ص ٥١٧ .

١٤ – العزفى : الدر المنظوم فى مولد النبى المعظم ، نشره : فرناندو دى لاجرانخا ، مجلة الأندلس ، ١٩٦٩م ، ص ٢١ .

١٥ – العزفي : نفس المصدر والصفحة .

١٦ – العزفي : نفس المصدر ، ص ٢٨ .

١٧ – المجبنات : نوع من الفطائر الأندلسية يصنع بالجبن ، وقد يضاف إليه العسل ، وكان الأندلسيون ذوى غرام بها حتى قالوا فيها شعراً ، وقد اشتهرت مدينة شريش Jerez وهي من أعمال مدينة أشبيلية Sivlla بحسن الصنعة لانواع كثيرة من هذه الأجبان ، حتى قيل فيها مثلاً : " من نخل شريش ولم يأكل المجبنات فهوم محروم " .

– ابن الأبار : (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى) ٥٩٥-٦٥٨هـ/١١٩٩-١٢٦٠م ، الحلة السيراء ، تحقيق د/ حسين مؤنس ، سلسلة ذخائر العرب (٥٨) دار المعارف ، الطبعة الأولى ١٩٦٣م ، جـ٢ ، ص ٢٩١ ؛ المقرى : (أحمد بن محمد التلمسانى) ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م . نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق د/ إحسان عباس ، ٨ مجلدات ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م ، جـ١ ، ص ١٨٤ .

١٨ – الطرطوشى : (أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهرى الطرطوشى ، ت٥٢٠هـ/١١٢٦م، الحوادث والبدع ، تحقيق محمد الطالبى ، تونس ، ١٩٥٩م ، ص ١٤٠ ، ١٤١ .

Leve Provencal : Histoire, T, III, p. 438 .

– أحمد مختار العبادى : الإسلام فى أرض الأندلس ، ص ١٠٧ : عبادة عبد الرحمن كحيلة : تاريخ النصارى في الأندلس ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م ، ص ١١١ .

19 - Rachil Arie : L'Espagne musulmane au temps de Nasrides, (1232-1492), paris 1973, Vol I, p. 401 ; Miguel La funte Al Cantara : Historia de Granada, Tomo III, Granada 1846, pp. 166 - 167 .

٢٠ – للمزيد عن الألعاب الإسلامية فى الأندلس راجع : أحمد مختار العبادى : الأعياد فى مملكة غرناطة ، ص ١٤١ وما يليها ؛ الطوخى : مظاهر الحضارة ، ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

٢١ – هورتزويثنت : الموريسكيون ، ترجمة عبد العال صالح ، دار الإشراق ، الدوحة ، ١٩٨٨م ، ص ١١٣ ، ١١٤ .

٢٢ – للمزيد حول الموشحات الأندلسية والموسيقى الأندلسية وتأثيرهما على مسيحى إسبانيا ، راجع : عبد الرحمن الحجى : تاريخ الموسيقى الأندلسية أصولها وتطورها ، وأثرها على الموسيقى الأوروبية ، لبنان، بيروت ، ١٩٦٩م.؛ السيد عبد العزيز سالم : تأثير الأزجال الأندلسية فى الشعر الغنائى الأوروبى ، كتاب الشعب ، العدد ٥٦٤ .

– ويعتقد الأستاذ رامون منندث بيدال Roman Menendez Pidal أن الزجل الأندلسى هو الذى كون حلقة الاتصال بين الموسيقى الإسبانية الحالية ، والموسيقى الأيبيرية فى التراث ، اليونانى واللاتينى ، ليفى بروفنسال : الإسلام فى المغرب والأندلس ، ترجمة د/ السيد عبد العزيز سالم ، محمد صلاح

الدين حلمى ، مراجعة د. لطفى عبد البديع ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة ، القاهرة ١٩٥٦م. ويذكر Cruz Heman dez أن الموسيقى الأندلسية التى كانت فى المقام الأول موسيقى شرقية حملها زرياب إلى الأندلس وطورها تطويراً كبيراً ، تأثرت لها بمرور الزمن بالموسيقى المحلية والتى كانت شائعة على نطاق واسع عند المستعربين ، وأيضًا تأثرت بما أدخله البربر من موسيقاهم المغربية ، ومن هنا حدث امتزاج وتأثر بين هذه الأنواع الموسيقية فخرجت فى إطار أندلسى فريد

Miguel Cruz Hernandez : El Eslam de Al-Andalus, Historia y Estructura de Surealidad Social, Madrid 1992, p. 442 .

ويضيف Hernandez بأن شبه الجزيرة الأيبيرية كان لديها وقت دخول المسلمين الأندلس ، تراث قديم من الموسيقى الشعبية والمدنية ، وأن العرب كان لهم موسيقاهم الخاصة . Cruz Heranadez : Op. Cit., p. 438 .

– ومن هنا حدث التقاء للتراث الموسيقى فى كلا الجانبين على أرض شبه الجزيرة الأيبيرية فخرج لنا مزيجًا خاصًا تميزت به أرض الأندلس وكان هذا المزيج هو موسيقى الفلامنكو

Hernandez : Op. Cit., p. 237 . PConto Ionda

23 - Leve Provencal : Histoire , Tomo II, p. 448 .

٢٤ – للمزيد عن فن الموشحات الأندلسية وأصولها العربية الأندلسية راجع : عبد العزيز الأهوانى : الزجل فى الأندلس ، صحيفة معهد الدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٥٧م ، ص ٢ ، ٣ وما يليها .

٢٥ – مدينة قادس Codiz هى مدينة إسبانية قديمة أسست زمن الفينيقيين وهى مدينة بحرية ، حيث تطل على البحر المتوسط جنوب شبه الجزيرة الأيبيرية ، وقد كانت فى العصر اليونانى القرطاجنى ، أهم مدينة فى شبه الجزيرة الأيبيرية ، إلى أن انتزعها الرومان من القرطاجنيين سنة ٢٠٦ ق.م. ؛ للمزيد من التفاصيل عن مدينة قادس الإسبانية راجع : سحر السيد عبد العزيز سالم : مدينة قادس ودورها فى التاريخ السياسى والحضارى للأندلس فى العصر الإسلامى ، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٩٠م.

٢٦ – ليفى بروفنسال : الإسلام فى المغرب والأندلس ، ص ٢٨٧ .

٢٧ – ترند : إسبانيا والبرتغال ، من كتاب The leagcy of Eslam ، تعريب د/ حسين مؤنس ، طبع القاهرة ، ١٩٣٦م ، صَ ٣١ ؛ رجب محمد عبد الحليم : العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية فى عصر بنى أمية وملوك الطوائف ، الناشرون دار الكتب الإسلامية ، دار الكتاب المصرى ، دار الكتاب اللبنانى ، بدون تاريخ ، ص ٤٣٤ .

٢٨ – ترند : نفس المرجع ، ص ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ .

٢٩ – ليفى بروفنسال : سلسلة محاضرات عامة عن أدب الأندلس وتاريخها ، ترجمة د/ محمد عبد الهادى شعيرة ، مراجعة أ/ عبد الحميد العبادى ، القاهرة ١٩٤٧–١٩٤٨م ، ص ٢٤ ، ٧٤ ؛ أحمد محمد الطوخى : مظاهر الحضارة فى الأندلس ، ص ١٣٢ .

30 - Abbadi : El reino de Granada, p. 132 .

٣١ – ابن بسام : (أبو الحسن على بن بسام الشنتريني) ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، طبع القاهرة ، القسم الثالث ، المجلد الأول ، ص ٣٨٨ : سحر السيد عبد العزيز سالم : بحوث مشرقية ومغربية فى التاريخ والحضارة الإسلامية ، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الجزء الأول ، ١٩٩٧م ، ص ٩٣ ، ٩٤ .

٣٢ – ابن بسام : نفس المصدر والجزء والصفحة .

٣٣ – مدينة بربشتر Barbastro ، هى مدينة حصينة تقع على بعد ٦٠كم شمال مدينة سرقسطة Zargoza، وهى تقع على أحد فروع نهر الإبرو Ebro ما بين مدينتى لاردة وسرقسطة عمودى الثغر الأعلى ، وهى الآن مدينة ومركز إدارى فى مديرية وشقة Huesco وقد تعرضت بربشتر لمحنة دامية عندما استولى عليها النورمانديون فى سنة ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م وقتلوا كثيراً من أهلها وسبوا نساءها ونهبوها نهبًا زريعًا .

– أحمد مختار العبادى : نصان جديدان لابن الكرديبس ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، المجلد الثالث عشر ، مدريد ١٩٦٥–١٩٦٦م ، ص ٧٢ ، هامش (٦) : للمزيد حول تفاصيل المحنة التى تعرضت لها مدينة بريشتر راجع : المقرى : نفح الطيب ، جـ٤ ، من ص ٤٤٩ إلى ص ٤٥٢ .

٣٤ – راجع القصة كاملة فى : المقرى : أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض ، تحقيق أ/ إبراهيم الإبيارى ، ومصطفى السقا ، القاهرة ، ١٩٤٠م ، ١٩٤٢م ، الجزء الثانى ، ص ٥٧٥ : المقرى : نفح الطيب ، جـ٤ ، ص ٤٥٢ .

35 - Cruz Herna dez : El Eslam de Al-Andalus, p. 441 .

سحر سالم : بحوث مشرقية ومغربية ، جـ١ ، ص ٩٤ .

٣٦ – أشعار التروبادور Trowbadours : ظهر شعر التروبادور فى القرن الثانى عشر الميلادى ، فى جنوب فرنسا فى إقليم بروفانس ، حيث نقلوه عن جذوره الأولى بالأندلس ، وقد تأثر أيضًا بالموشحات الأندلسية العربية من حيث الوزن والدقة والخيال والموضوعات التى غالبًا ما تمجد الحب العذرى العفيف البعيد عن الأوصاف الحسية ، ولذلك كانت موضوعاته مفضلة لدى فرسان العصور الذهبية بأوروبا ، ووجدوا فى تلك الأشعار بغيتهم للارتقاء بالمرأة ، والتغنى بها فى أشعارهم ، وقد انتقلت هذه الأشعار من الأندلس إلى أوروبا فى العصور الوسطى .

للمزيد عن شعر وشعراء التروبادور راجع :

Lanson : Histoire de la literature Francaise, Paris, 1916, pp. 86 , 87 .

Ramon Menendez pidal : Espana Coma El ebon enter El Cristianismo el Eslam, madrid, 1953, pp. 7 - 10 .

٣٧ – ليفى بروفنسال : الإسلام فى المغرب والأندلس ، مقال الشعر العربى فى المغرب والأندلس ، مقال الشعر العربى فى إسبانيا وشعر أوروبا فى العصر الوسيط ، الطبعة الثانية ، الإسكندرية ، ١٩٩٠م ، ص ٢٨٠ ، ٣٠٢ .

Heneri Pérès : La poésie arabe d'Andalousi et sus relations possibles avec la poésie des trowbadours, Paris, 1947, pp. 107 - 130 .

٣٨ – الصقالبة : كانوا رقيقًا أو عبيدًا من سبى الشعوب السلافية بالشمال الأوربى ، ثم بيعوا إلى عرب الأندلس ، ولذا أطلق عليهم اسم الصقالبة ، ثم توسع الأندلسيون فى استعمال هذا الاسم ، وأطلقوه على مواليهم الذين جلبوهم من مختلف البلاد الأوروبية بما فى ذلك شمال إسبانيا المسيحى ، وجىء بأغلب هؤلاء الصقالبة أطفالاً ومن الجنسين إلى مدينة قرطبة حاضرة الخلافة حيث ربى الذكور منهم تربية عسكرية إسلامية ، واستخدموا فى أعمال القصر والحرس والجيش ، وقد تدرجوا فى الرقى بالمناصب حتى صار منهم الوزراء والقواد وكبار رجال الدولة .

– للمزيد راجع : أحمد مختار العبادى : الصقالبة فى إسبانيا ، لمحة عن زصلهم ونشأتهم وعلاقتهم بحركة الشعوبية ، مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية ، مدريد ١٩٥٣م.

٣٩ – سورة الجاثية : الآية ٣٢ .

٤٠ – الطرطوشى : نفس المصدر ، ص٥٩ .

٤١ – سورة النساء : آية ٧ .

٤٢ – سورة المائدة : آية ١١٦

٤٣ – الطرطوشى : نفس المصدر ، ص ٥٩ .

٤٤ – الطرطوشى : نفس المصدر ، ص ٥٧ .

٤٥ – أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢١٢ .

٤٦ – أحمد مختار الطوخى : مظاهر الحضارة فى الأندلس ، ص ١٣٣ .

Abbadi : El reino de Granada, p. 155 .

٤٧ – للمزيد عن أدوات الطرب وآلاته الخاصة بالأندلس ، راجع : ابن خلدون : (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون) ٧٣٢-٨٠٨هـ/١٣٣٢-١٤٠٥م ، المقدمة ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م ، ص ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ؛ السيد عبد العزيز سالم : فن الغناء والموسيقى ، مقال بدائرة معارف الشعب ، العدد (٦١) ، ١٩٥٩م ، ص ٩٩ – ١٠٥ ؛ ترند : إسبانيا والبرتغال ، ص ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ .

وهناك أيضًا كلمة البوق Albogue التى ذكرها دوزى فى معجمه حول تأثيرات الآلات الموسيقية الأندلسية فى اللغة الإسبانية فقد نقلت الكلمة بنطقها ومعناها .

Dozy : Supplément, Tomo I, p. 128, 129 .

٤٨ – هنرى بيرس : الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف ، ملامحه العامة وموضوعاته الرئيسية ، وقيمته التوثيقية ، ترجمة د/ الطاهر أحمد مكى ، دار المعارف ، الطبعة الأولى ، ذو القعدة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص ٤٩١ .

٤٩ – ابن الخطيب : (لسان الدين بن الخطيب) ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، تحقيق أ/ محمد عبد الله عنان ، دار المعارف ، مصر سلسلة ذخائر العرب ، رقم (١٧) ، الجزء الأول ، ص ١٤٢ .

50 - Leve Provencal : la civilisation arabe en Espana, Buenos Aires, 1953, pp. 127 - 129 .

٥١ – ابن بسام : الأخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، ق١ ، جـ٢ ، ص ١٥٤ ، ١٥٥ ؛ رجب أحمد عبد الحليم : العلاقات بين الأندلس الإسلامية ، ص ٤٣٨ ، ٤٣٩ .

Leve Provencal : Op.Cit., p. 130 - 137 .

٥٢ – الكنابيش مفردها كنبوش Cambux وهو نوع من الحجاب أو الستار تغطى به النساء وجوههن عند الخروج وقد دخلت الكلمة فى اللغة الإسبانية بنفس معناها واستخدامها .

Reinhart dozy : Dictionnare detaille des noms des vetmens ches les arabes amsterdam 1845, p. 390 .

٥٣ – هنرى بيرس : نفس المرجع ، ص ٢٤٥ .

٥٤ – للمزيد عن الزنار وأصلة راجع : Dozy : Op.Cit., p. 196 - 198 .

٥٥ – للمزيد راجع : مانويل جوميث موريتو : الفن الإسلامى فى إسبانيا ، ترجمة / لطفى عبد البديع ، طبع القاهرة ، ص ٤١٧ ، ٤١٨ .

٥٦ – كانت مصانع مدينة المرية هى المنهل الذى يستخدمه المسلمين فى المغرب والأندلس لإنتاج منسوجاتهم الفاخرة ،. وظلت كذلك إلى أن استولى عليها الملك القشتالى الفونسو السابع Alfonso, VII سنة ٥٤٢ هـ / ١١٤٧م ؛ الإدريسى : (محمد بن عبد العزيز الشريف الفاوى) ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس . من كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق . ليدن ١٨٦٨م ، ص ١٩٨ .

٥٧ – مصطفى الشكعة : الأدب الأندلسى موضوعاته وفنونه دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٥م ، ص ٨٣ ، ٨٤ ؛ السيد عبد العزيز سالم : صناعة النسيج ، مقال بدائرة معارف الشعب ، العدد (٦٤) ، ١٩٤٩م ، ص ١٩٣ .

٥٨ – الموريسكيون Los Moriscos هم المسلمون الذين تخلفوا فى الأندلس بعد سقوط آخر الممالك الإسلامية بها وذلك بتسليم مدينة غرناطة فى يناير ١٤٩٢م ، وقد ظل هؤلاء المسلمون محافظون على دينهم وهويتهم الإسلامية ، من حيث عاداتهم وتقاليدهم وتمسكهم بطقوس دينهم فترة من الزمن إلى أن أجبروا فيما بعد على اعتناق الديانة المسيحية على المذهب الكاثوليكى وهو مذهب الملكين الكاثوليكيين ، وهناك من أعلن نصرانيته فى الظاهر مع عدم رجته عن الإسلام ، ولهذا شك فيهم الإسبان وقرروا طردهم نهائيًا من الأندلس سنة ١٦١٣م .

– لمزيد راجع : ترند : إسبانيا والبرتغال ، جـ١ ، ص ١٧ ، هامش (١) .

٥٩ – ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٥٥ – ١٥٦ .

٦٠ – محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، العصر الرابع ، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتصرين ، الناشر مكتبة الخانجى ، القاهرة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م ، ص ٤٥٠ ؛ أحمد محمد الطوخى : مظاهر الحضارة فى الأندلس ، ص ٧٨ .

٦١ – هـ – أ. ر. جب : الأدب من كتاب تراث الإسلام ، لجنة الجامعيين لنشر العلم ، الجزء الأول ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، جـ٢ ، ص ٦٢ .

٦٢ – أحمد الطوخى : نفس المرجع ، ص ٣٠٥ .

63 - Valentin Beneitez Cantero : Vocabularia Espanol Arabe Marroqui, 1949, p. 130 .

٦٤ – للمزيد حول الكلمات الخاصة بالزى العربى فى الإسبانية ، راجع : ترند : إسبانيا والبرتغال ، جـ١ ، من ص٣٦ إلى ص ٤٦ .

٦٥ – السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس، دراسة تاريخية عمرانية أثرية فى العصر الإسلامى ، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الجزء الثانى ، ١٩٨٤م ، ص ١٤٤ .

66 - Leve Provencal : Hist, Tomo 1 , p. 269 .

٦٧ – الطاهر أحمد مكى : دراسات أندلسية عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ، دار المعارف ، الطبعة الثالثة ، ذو الحجة ١٤٠١هـ / أكتوبر ١٩٨١م ، ص ٣٩ .

٦٨ – ابن عذارى : (أبو عبد الله محمد المراكشى) كان حيًا سنة ٧١٢هـ : البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، الجزء الثانى ، بيروت ، ١٩٥٠م ، ص ٩١ ؛ عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، جـ٢ ، ص ١٤٤ ؛

- Leve Provencal : Hist, Tomo 1 , p. 264 .

- Leve Provencal : la civilization, p. 67 .

٦٩ – أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

٧٠ – ترند : إسبانيا والبرتغال ، ص ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٩ .

٧١ – للمزيد راجع ترند : نفس المرجع ، من ص ٤٧ إلى ص ٥٠ .

٧٢ – بالنثيا : تاريخ الفكرى الأندلسى ، ص ٤٨٥ ، ٤٨٦ .

٧٣ – بالنثيا : نفس المرجع ، ص ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٥٠١ : رجب عبد الحليم : العلاقات بين الأندلس الإسلامية، ص ٤٤٨ .

٧٤ – بالنثيا : تاريخ الفكر : ص ٥٩ .

٧٥ – ابن حزم ، (أبو محمد على بن أحمد بن سعيد) ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م : جمهرة أنساب العرب ، تحقيق ليفى بروفنسال ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٤٨م ، ص ٤١٥ ؛ بالنثيا : نفس المرجع ، ص ٥٩ .

٧٦ – ابن حزم : نفس المصدر ، ص ٤١٥ .

٧٧ – الشكعة : الأدب الأندلسى ، ص ٤٦ .

٧٨ – محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، العصر الرابع ، ص ٤٩٤، هامش (١) .

٧٩ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٣ ؛ رجب عبد الحليم : العلاقات بين الأندلس ، ص ٤٢٣ .

٨٠ – حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس . من البداية إلى الحجارى ، مجلة معهد الدراسات الإسلامية ، المجلدان السابع والثامن ، مدريد ، ١٩٥٩/١٩٦٠م ، ص ٢٧٦ .

٨١ – ليوبولدو توريس بلباس : الأبنية الإسلامية الإسبانية ، ترجمة / علية الضانى ، مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية ، مدريد ، ١٩٥٣م ، ص ١١٧ .

٨٢ – إيزابيلا الأولى Isabella the Catholic ملكة قشتالة ، ولدت سنة ١٤٥١م ، وهى ابنة خوان الثانى ملك قشتالة ، وقد تزوجت من فرديناند الرابع ملك أراجون سنة ١٤٩٦م . وتولت العرش بعد أن توفى شقيقها الأكبر أنريكى الرابع ، وقد أدمجت المملكتين بينها وبين زوجها وصارتا قوة هددت آخر الممالك الإسلامية التى استوليا عليها ، وعرفت هى وزوجها فى التاريخ الأوربى الوسيط بملكى قشتالة ، وأراجون أو الملكين الكاثوليكيين . للمزيد راجع : محمد عبده حتاملة : التنصير القسرى لمسلمى الأندلس فى عهد الملكين الكاثوليكيين (١٤٧٤/١٥١٦م) الطبعة الأولى ، عمان ، الأردن ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ص ١٤ .

٨٣ – ليوبولدو توريس بلباس : نفس المرجع والصفحة .

٨٤ – لين بول : قصة العرب فى إسبانيا ، ص ١٢٠ ، ص ١٦٥ .

٨٥ – للمزيد راجع : جوستاف لوبون : حضارة العرب ، ص ٥٩٧ ؛ حسين مؤنس : فجر الأندلس ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٩م ، الطبعة الأولى ، ص ٤١٩ .

٨٦ – ابن بسام : الذخيرة ، ق١ ، جـ٢ ، ص ٣١١ ؛ ابن عذارى : البيان . جـ٢ ، ص ٢٣.

٨٧ – ابن بسام : نفس المصدر والجزء ، ص ١٩٠ ، ١٩٢ .

٨٨ – كمال أبو مصطفى : مالقة الإسلامية ، ص ٧٠ .

٨٩ – للمزيد راجع : محمد عبده حتاملة : التنصير القسرى لمسلمى الأندلس ، ص ١٠٩ .

٩٠ – محمد عبده حتاملة : نفس المرجع والصفحة .

٩١ – أحمد مختار العبادى : فى تاريخ الحضارة العربية ، الإسلامية . دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ٢٠٠٠م ، ص٩ .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

١ – ابن الأبار : (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى القضاعى) ، (٥٩٥ –٦٥٨هـ /١١٩٩ –١٢٦٠م) الحلة السيراء ، تحقيق د/ حسين مؤنس ، سلسلة ذخائر العرب (٥٨) ، دار المعارف ، الجزء الثانى ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٣م.

٢ – ابن بسام : (أبو الحسن على بن بسام الشنترينى) ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، طبع القاهرة ، القسم الثالث ، المجلد الأول .

٣ – ابن حزم : (أبو محمد على بن أحمد بن سعيد) ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م : جمهرة أنساب العرب ، تحقيق ليفى بروفنسال ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٤٨م.

٤ – ابن حيان : (أبو مروان بن حيان القرطبى) ت ٤٦٩هـ/١٠٧٦م : المقتبس فى أنباء أهل الأندلس ، تحقيق د. محمود على مكى ، لبنان ، بيروت ، ١٩٧٣م.

٥ – ابن الخطيب : (لسان الدين بن الخطيب) ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، تحقيق أ/محمد عبد الله عنان ، دار المعارف ، سلسلة ذخائر العرب (١٧) ، الجزء الأول .

٦ – ابن خلدون : (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون) ت ٧٣٢–٨٠٨هـ/ ١٣٣٢–١٤٠٥م : المقدمة ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .

٧ – الإدريسى : (محمد عبد العزيز الشريف الفاوى) ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، من كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، ليدن ١٨٦٨م.

٨ – الطرطوشى : (أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهرى الطرطوشى ت ٥٢٠هـ / ١١٢٦م : الحوادث والبدع ، تحقيق محمد الطالبى ، تونس ، ١٩٥٩م ، وطبعة د. بشير محمد عيون ، مكتبة المؤيد ، ومكتبة لبنان ، الطبعة الثانية ، دمشق ، بيروت ، ١٤١٣هـ/١٩٩١م.

٩ – ابن عذارى : (أبو عبد الله محمد المراكشى) كان حيًا سنة ٧١٢هـ : البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، الجزء الثانى ، ١٩٥٠م.

١٠ – العزفى : الدر المنظوم فى مولد النبى المعظم ، نشره فرناندو دى لاجرانخا ، مجلة الأندلس ، ١٩٦٩م.

١١ – المسعودى : (أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى) ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، الجزء الثانى ، ١٩٨٦م.

١٢ – المقرى : (أحمد بن محمد التلمسانى) ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م : نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق د. إحسان عباس ، الجزء الأول ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

١٣ – المقرى : أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض ، تحقيق أ/ إبراهيم الإبيارى ، ومصطفى السقا ، الجزء الثانى ، القاهرة ، ١٩٤٠ – ١٩٤٢م .

ثانيًا : المراجع :

١ – الأهوانى : (د/عبد العزيز الأهوانى) : الزجل فى الأندلس ، صحيفة معهد الدراسات ، القاهرة ١٩٥٧م.

٢ – بالنثيا : (أنخل جنثالث بالنثيا) : تاريخ الفكر الأندلسى ، ترجمة د. حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٥٥م.

٣ – بروفنسال : (ليفى بروفنسال) : الإسلام فى المغرب والأندلس ، ترجمة د/ السيد عبد العزيز سالم ، محمد صلاح الدين حلمى ، مراجعة د/ لطفى عبد البديع ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة ، القاهرة ١٩٥٦م .

٤ – « « « : سلسلة محاضرات عامة فى أدب الأندلس وتاريخها ، ترجمة د. محمد عبد الهادى شعيرة ، مراجعة أ. عبد الحميد العبادى ، القاهرة ٩١٤٧–١٩٤٨م.

٥ – « « « : الشعر العربى فى إسبانيا وشعر أوروبا فى العصور الوسطى ، مقال من كتاب الإسلام فى المغرب والأندلس ، الطبعة الثانية ، الإسكندرية ، ١٩٩٠م .

٦ – بلباس : (ليوبولدو توريس بلباس) : الأبنية الإسلامية الإسبانية ، ترجمة علية الضانى ، مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية ، مدريد ، ١٩٥٣م.

٧ – بيرس : (هنرى بيرس) : الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف ، ملامحه العامة ، وموضوعاته الرئيسية ، وقيمته التوثيقية ، ترجمة د. الطاهر أحمد مكى ، دار المعارف ، الطبعة الأولى ، ذو القعدة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

٨ – ترند : إسبانيا والبرتغال ، من كتاب The leagcy of Eslam ، تعريب ، د/ حسين مؤنس ، طبلع القهرة ، ١٩٣٦م.

٩ – جب : (هـ.أ.رجب) : الأدب من كتاب تراث الإسلام ، لجنة الجامعيين لنشر العلم ، الجزءان الأول والثاني ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

١٠ – حتاملة : (د. محمد عبده حتاملة) : التنصير القسرى لمسلمى الأندلس فى عهد الملكين الكاثوليكيين (١٤٧٤–١٥١٦م) الطبعة الأولى ، عمان ، الأردن ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

١١ – الحجى : (د. عبد الرحمن الحجى) : تاريخ الموسيقى الأندلسية أصولها ، تطورها ، وأثرها على الموسيقى الأوروبية ، لبنان ، بيروت ١٩٦٩م.

١٢ – حسين : (د.حمدى عبد المنعم حسين) : مجتمع قرطبة فى عصر الدولة الأموية ، رسالة دكتوراه نوقشت بآداب الإسكندرية ، سنة ١٩٨٤م.

١٣ – أبو زيد : (د. سعيد سيد أحمد أبو زيد) : الحياة الاجتماعية فى الأندلس فى عصر دولتى المرابطين والموحدين (٤٨٤–٦٢٠هـ/ ١٠٩١–١٢٢٣م) كلية الآداب ، جامعة المنوفية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦م.

١٤ – سالم : (د. السيد عبد العزيز سالم) : تأثير الأزجال الأندلسية فى الشعر الغنائى الأوروبى ، كتاب الشعب ، العدد ٥٦٤ .

١٥ – « « « : فن الغناء والموسيقى ، مقال بدائرة معارف الشعب ، العدد (٦١) ، ١٩٥٩م.

١٦ – « « « : صناعة النسيج ، مقال بدائرة معارف الشعب ، العدد (٦٤) ، ١٩٤٩م.

١٧ – « « « : قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس ، دراسة تاريخية عمرانية أثرية فى العصر الإسلامى ، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الجزء الثانى ، ١٩٨٤م.

١٨ – سحر : (د. سحر السيد عبد العزيز سالم) : مظاهر الحياة فى بطليوس الإسلامية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٩٥م.

١٩ – « « « : مدينة قادس ودورها فى التاريخ السياسى والحضارى للأندلس فى العصر الإسلامى ، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٩٠م.

٢٠ – « « « : بحوث مشرقية ومغربية فى التاريخ والحضارة الإسلامية ، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الجزء الأول ، ١٩٩٧م.

٢١ – الشكعة : (د. مصطفى الشكعة) : الأدب الأندلسى موضوعاته وفنونه ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٥م.

٢٢ – الطوخى : (د. أحمد محمد الطوخى) : مظاهر الحضارة فى الأندلس فى عصر بنى الأحمر ، الناشر مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ١٩٩٧م.

٢٣ – العبادى : (د. أحمد مختار العبادى) : فى تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ، بدون تاريخ .

٢٤ – « « « : فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ٢٠٠٠م.

٢٥ – « « « : الأعياد فى مملكة غرناطة ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية ، مدريد ، المجلد الخامس عشر ، ١٩٧٠م.

٢٦ – « « « : الإسلام فى أرض الأندلس أثر البيئة الأوروبية ، مجلة عالم الفكر ، المجلد العاشر ، العدد الثانى ، سنة ١٩٨٤م.

٢٧ – « « « : نصان جديدان لابن الكردبوس ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، المجلد الثالث عشر ، مدريد ، ١٩٦٥ – ١٩٦٦م.

٢٨ – « « « : الصقالبة فى إسبانيا ، لمحة عن أصلهم ونشأتهم وعلاقتهم بحركة الشعوبية، مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية ، مدريد ، ١٩٥٣م.

٢٩ – عبد الحليم : (د. رجب محمد عبد الحليم) : العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية فى عصر بنى أمية وملوك الطوائف ، الناشرون دار الكتب الإسلامية ، دار الكتاب المصرى ، دار الكتاب اللبنانى ، بدون تاريخ .

٣٠ – عنان : (أ محمد عبد الله عنان) : دولة الإسلام فى الأندلس ، العصر الرابع نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين ، الناشر مكتبة الخانجى ، القاهرة ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

٣١ – كُحيلة : (د. عبادة عبد الرحمن كُحيلة) : تاريخ النصارى فى الأندلس ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .

٣٢ – لوبون : (جوستاف لوبون) : حضارة العرب ، تعريب / محمد عادل زعيتر ، مصر ، ١٩٤٥م.

٣٣ – أبو مصطفى : (د. كمال أبو مصطفى) : مالقة الإسلامية فى عصر دويلات الطوائف (القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى) ، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٩٣م.

٣٤ – مكى : (د. الطاهر أحمد مكى) : دراسات أندلسية عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ، دار المعارف ، الطبعة الثالثة ، ذو الحجة ، ١٤٠١هـ / أكتوبر ١٩٨١م.

٣٥ – مورينو : (مانويل جومث مورينو) : الفن الإسلامى فى إسبانيا ، ترجمة / لطفى عبد البديع ، طبع القاهرة .

٣٦ – مؤنس : (د. حسين مؤنس) : الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس من البداية إلى الحجارى ، مجلة معهد الدراسات الإسلامية ، المجلد السابع والثامن ، مدريد ، ١٩٥٩م ، ١٩٦٠م.

٣٧ – فجر الأندلس ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٥٩م.

Third : References in foregin languages :

1 - Abbadi : (Ahmed Mujtar Abbadi) : El Reino de Granada en la Época de Muhammed V, Madrid 1973 .

2 - Aric : (Rachil Arie) : l'espagne musulmane au Temps de Nasrides (1232-1492) Paris 1973 .

3 - Al Cantara : (Miguel Lafunte Al Cantara) : Historia de Granada, Tomo III, Granada 1846 .

4 - Cantero : (Valentin Beneitez Cantero) : Vocubularia Espanol Arabe, Marroqui, 1949.

5 - Crow : (John.A.Crow) : Spain : The root and the flowers, Newyork, 1963.

6 - Dozy : (Reinhart Dozy) Supplément aux Dictionnires Arabes, leyden 1881 .

7 - " " " : Dictionnare Detaille des Noms des vetmentes ches les Arabes, Amsterdam 1845 .

8 - La Granja : (Fernando de la Granja) :Fiestas Cristianas en Al-Andaluse, Revista Al-Andalus XXXIV, Madrid, 1969 .

9 - Hernandez : (Miguel Cruz Hernandez) : El Eslam de Al-Andalus Historia y Estructura de Surealidad Social, Madrid, 1992 .

10 - Lanson : Historie de la literature Francaise, Paris, 1916 .

11 - Pérès : (Henri Pérès) : La Poésie arabe d'Andalousie et sus relations Possibles avec la Poésie des Trowbadours, Paris 1947 .

12 - " " " : :a Poésie Andalouse en Arabe Classique au siecle x1, Paris 1953 .

13 - Pidal : (Ramon Menedez Pidal) : Espana Coma El Ebon entre El Cristianismo El Eslam, Madrid, 1953 .

14 - Provencal : (Leve Provencal) : La Civilization Arabe en Espana, Buenos Aires, 1953 .

15 - " " " : Histoire de L'espagne musulmane, Tomo III, Paris, 1967 .